

داعش .. محاولة للفهم



في عمل يعد الأول من نوعه، قامت الدكتورة "فاطمة الصمادي" الباحثة بمركز الجزيرة للدراسات والمتخصصة بدراسات الشرق الأوسط بالإشراف على ملف بحثي بعنوان "تنظيم الدولة الإسلامية: النشأة، التأثير، المستقبل" وتحريره، ويعد هذا الملف فريدًا في مدى تعقيده وشموليته، إذ لم تسبق أي محاولة بحثية بمحاولة مقارنة السياقات المختلفة التي أدت بهذا التنظيم إلى وضعه الحالي.

يقوم الملف بتحليل الظروف الفكرية والسياسية والاجتماعية المحيطة بالتنظيم على ثلاث فترات زمنية: الماضي أو نشأة التنظيم، الحاضر أو حالة التنظيم الحالية وقوته وتأثيره على الواقع، والمستقبل وشكل التغيرات المتوقعة لهذا التنظيم على مستقبل المنطقة.

يهدف الملف الذي جاء في قرابة التسعين صفحة إلى ستة أهداف:

- 1- معرفة خلفيات وأسباب صعود هذه الظاهرة.
- 2- معرفة التأثيرات التي تركتها الظاهرة على صعيد المجتمعات، والدول والعلاقات الدولية.
- 3- تقديم قراءة معمقة تمحص الصحيح والسقيم بشأن التنظيم.
- 4- محاولة بناء رؤية إستراتيجية لمواجهة الفكر الذي يغذي هذه الظاهرة.
- 5- تقديم نظرة استشرافية لمستقبل هذا التنظيم.
- 6- توفير معلومات ذات مصداقية عالية، وتحليلات معمقة عن تنظيم "الدولة الإسلامية".

حاول الملف بالأساس تجاوز الزعم بفرادة التنظيم والتعامل معه خارج سياق الحركة الجهادية بشكل عام، إذ إن فهم التنظيم في السياق العالمي سينزع عنه هالة الرعب المحيطة به ويسمح بدراسته بشكل كفاء، إلا أن هذا لا يجب في ذات الوقت أن يحول الأنظار عن التحولات والتطورات الحادثة داخل

نظام الجهاد العالمي الفكري وتحرره من السيطرة النسبية السابقة لتنظيم القاعدة عليه، وبذلك استطاع الباحثون إلقاء نظرة أعمق على الخلاف الحادث بين تنظيمي الدولة والقاعدة لفهم طبيعة كل منهم بشكل أفضل.

أتى البحث الأول في الملف بعنوان "تنظيم الدولة الإسلامية: البنية الفكرية وتعقيدات الواقع"، وكان من كتابة الدكتور "معتز الخطيب" الأستاذ بمركز التشريع الإسلامي بجامعة حمد بن خليفة، وناقش البحث عددًا من محاولات تفسير نشأة تنظيم الدولة فكريًا وكان أهمها: السياق السياسي، النصوص الفقهية، الحالة الاجتماعية والنفسية، وحقيقة ظاهرة التفرد؛ وانطلق من هذا النقاش إلى أمرين: تجاوز الزعم "بفردة" التنظيم وعزله عن السياق الجهادي الكامل، وتجاوز عملية تحويله إلى مجموعة من الخصائص والصفات التي يمكن وصف أي حركة أو مجموعة بها؛ وبهذا يصبح التنظيم كيانًا صلبًا واضح الحدود يمكن التعامل معه ودراسته عوضًا عن كونه حالة سائلة.

تنظيم "الدولة الإسلامية": البنية الفكرية وتعقيدات الواقع

أسباب انشقاق تنظيم الدولة عن القاعدة

- خلاف منهج يتناول المسائل التنظيمية والإجرائية
- عدم توافق حكمة وخبرة القاعدة مع صدامية تنظيم الدولة
- لم تُعد القاعدة قاعدة الجهاد وابتعد الظاهري عن ساحات القتال

دوافع "الانحراف" المتكرر في حالي الزرقاوي والبغدادي

- التقلت من قيود العمل الجهادي التي أرساها فقهاء القاعدة
- الطبيعة المتصلبة لقيادة تنظيم "الدولة الإسلامية"

البنية الفكرية للجهاد العالمي والنظام الفقهي

- الحكم بما أنزل الله جوهر البنية الفكرية للجهاد العالمي
- تكفير الحكام والراضين ومن لم يكفر هؤلاء جميعًا
- رُكِب الجهاديون منظومتهم على بعض فتاوى أئمة الدعوة النجدية
- تنظيم الدولة نتاج سياقات مركبة تداخل فيها النص بالواقع أو العكس

تميّز تنظيم الدولة

- الرؤية الأيديولوجية الصلبة والحديّة
- تغلب الجانب العقائدي والطائفي والهوياتي
- حالة التوحش الذي وصل إليه التنظيم
- البرغماتية جعلته يكفر ويقاتل الجهاديين
- الانتهازية دفعته لمبايعة قطاع طرق

ويخلص البحث إلى أن التنظيم أتى كتطور داخل حركة الجهاد العالمي وليس خارجها نتيجة لتداخل النص بالواقع.

وكان البحث الثاني بعنوان "الجدور الأيديولوجية لتنظيم الدولة الإسلامية" من كتابة الباحث "شفيق شقير" المتخصص بشئون الشرق الأوسط والشرق العربي، وكانت بالأساس محاولة لفهم التطورات التي جددت على الفكر الجهادي العالمي وتحديداً فكر تنظيم القاعدة نتيجة للظروف السياسية والعسكرية وأدى لانشقاق تنظيم الدولة وتشكل أيديولوجيته الحدية العنيفة.

الجذور الأيدولوجية لتنظيم الدولة الإسلامية

شكل تنظيم القاعدة بقيادة أسامة بن لادن ذروة تطور التيارات الجهادية إلى حين تسلم أيمن الظواهري مسؤوليتها وما أعقب ذلك من انشقاق لتنظيم "الدولة الإسلامية" عنها وإعلانه أبا بكر البغدادي أمير التنظيم خليفة على المسلمين في دولة العراق والشام.



أسامة بن لادن



أيمن الظواهري

أبرز سمات نهج الزرقاوي

- الإسراف في العنف
- عز من "سنة" ذبح المخطوفين والأسرى
- بالغ في استهداف السنة من الصحوات
- تكفير الشيعة بالجملة واستهداف جمهورهم



أسامة بن لادن

البغدادي

تقارب تنظيم الدولة مع القاعدة

- توافق في الأصول والقواعد وخلاف في تنزيلها

المستقبل الأيدولوجي المحتمل للتنظيم

- تحجيم التنظيم أو هزمه ليكون مستقبلاً أشبه بما آلت إليه دولة طالبان
- صمود التنظيم في هذه الحرب واستمرارية دولة الخلافة

(الخلاف التنظيمي)

- قبول الظواهري عملياً بالديمقراطية التي هي كفر بواح
- وقوف الظواهري إلى جانب "الطاغوت"
- الرئيس محمد مرسي الذي قبل بالديمقراطية
- تلبس القاعدة بمذهب الإرجاء والجهمية لعدم تكفيرها من وجب تكفيره من "المسلمين"

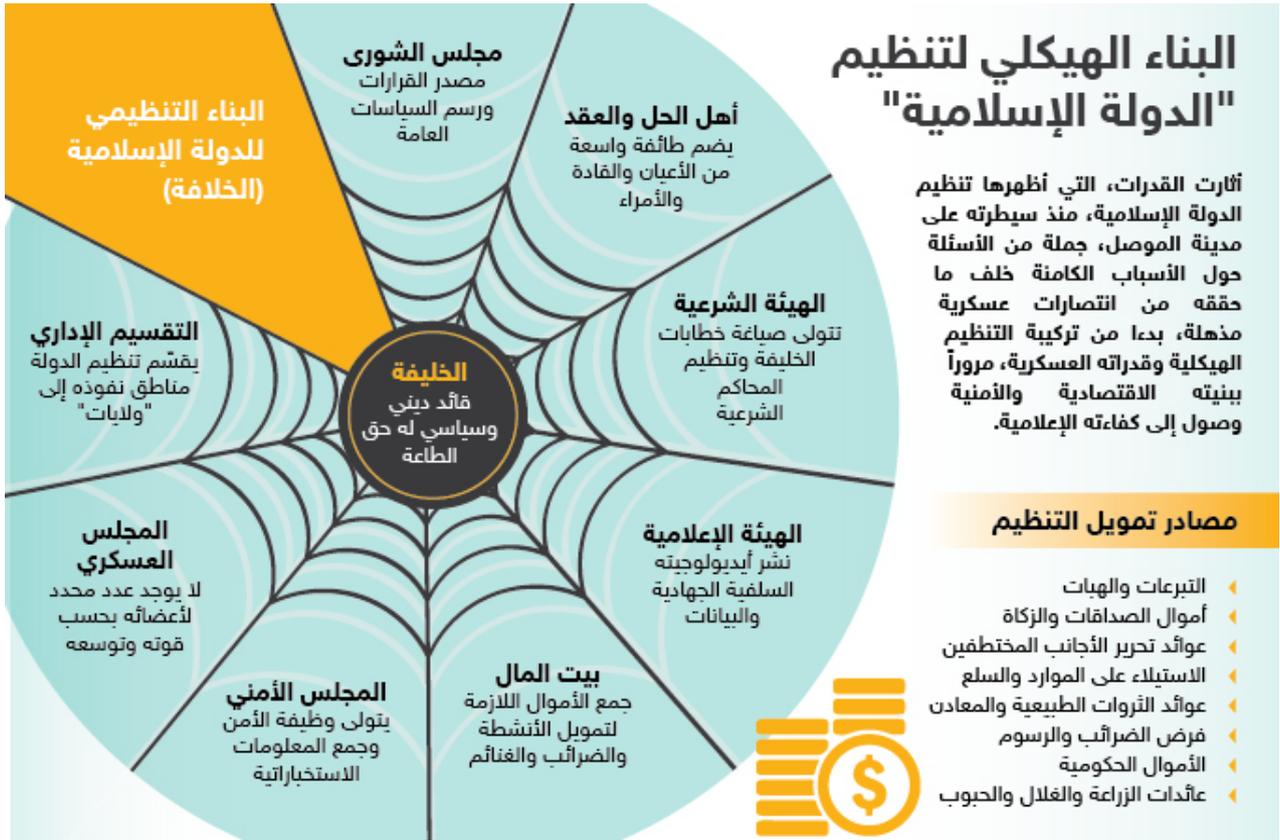
(الخلاف الأيدولوجي)

- تتهم تنظيم الدولة بالمبالغة في التكفير وعدم أهليته لتنزيل الأحكام الشرعية موضعها
- تتهمه بأنه يكفر عملياً مخالفيه من التنظيمات الجهادية الأخرى بسبب الاختلاف معهم
- ترى أن البغدادي أعلن الخلافة من دون تمكين، وأنه اقتصر على بيعة بعض من تنظيمهم

النزاع بين الدولة والقاعدة

قام الباحث بمعاينة عدد من مواقف قادة هذه التنظيمات التي أدت لوصول الوضع لما هو عليه، بداية من الجهاد في أفغانستان مروراً بالجهاد العالمي ونهاية بالقاعدة ما بعد وفاة بن لادن، ولاحظ أيضاً أهمية التحولات التي سببها أبو مصعب الزرقاوي على نهج وأيدولوجية تنظيم القاعدة في العراق أثناء قيادته له وما ترتب من ذلك على تشكل تنظيم الدولة لاحقاً، وأيضاً نتيجة قبول الظواهري بالديموقراطية ودعمه لمحمد مرسي مما يعني الكفر البواح في رأي تنظيم الدولة، وهذا يعني بالضرورة أن هذه التطورات في الرؤى الأيدولوجية لتنظيم الدولة ستعني تكون دولة متشددة في الداخل مرنة في تعاملها مع الخارج في حالة بقاء "خلافة" التنظيم قائمة، أو تكون جماعة جهادية أكثر يمنية من القاعدة ذاتها في حال سقوط هذه الخلافة.

أما البحث الثالث فقد عني بالمسائل الأكثر عملية فيما يخص التنظيم، أي بناءه الهيكلي والإداري ومصادر تمويله، تحت عنوان "البناء الهيكلي لتنظيم الدولة الإسلامية"، حاول الباحث "حسن أبو هنية" المتخصص في الجماعات الجهادية كشف الطريقة التي يعمل بها تنظيم الدولة في الحياة العملية.



وحاول الباحث الإجابة عن سؤال مدى قدرة هذا التنظيم على إدارة دولة، وبدأ بشكل تاريخي في تحليل البنى الهيكلية للكيانات التي انتهت إلى تنظيم الدولة كجماعة التوحيد والجهاد أو قاعدة الجهاد في العراق، وأتبع ذلك بالهيكل الإداري الحالي للتنظيم المكون من:

- 1- خليفة في مركز التنظيم له حق الطاعة وهو القائد السياسي والديني.
- 2- مجلس شورى يصدر القرارات ويرسم السياسات العامة.
- 3- أهل حل وعقد من الأمراء والقادة والأعيان.
- 4- هيئة شرعية تتولى تنظيم التحاكم الشرعي.
- 5- هيئة إعلامية.
- 6- بيت مال (بدأ في صك النقود مؤخرًا).
- 7- مجلس أمني واستخباراتي.
- 8- مجلس عسكري.
- 9- ولايات إدارية.

وحاول الباحث أن يقدم تصورًا لما خلف صورة الكفاءة الواضحة على التنظيم في إدارة الوضع في المناطق التي تحت سيطرته، وكذلك قدر التحديات التي مع التوسع في تكوين دولة حقيقية مع الكثير من الضغوط الداخلية والخارجية.

وفي البحث الرابع المعنون "عن داعش ومجتمعاتها: اللعب خارج السوسيولوجيا"، قام الصحفي "حازم الأمين" بتقصي الأصول الاجتماعية للجهاديين الذين يلتحقوا بصوف التنظيم، وكيف أن هذه التجربة

فريدة حيث جمعت أعداد ضخمة للغاية من الشباب من كافة أنحاء العالم، إلا أن هذا في حد ذاته قد تكرر فيما سبق في تنظيمات الجهاد المختلفة وليس في دولة كما تزعم داعش.



داعش) ومجتمعاتها... اللعب خارج السوسولوجيا

لن يتمكن متعقب تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) في البؤر الاجتماعية والسياسية التي أنجبتها ورفدتها، من الإمساك بخيط هذه "الدولة" المتهومة، ذلك أن (داعش) اتسعت لانهيارات لا يمكن أن تضبطها فكرة واحدة، وهي انهيارات شديدة التفاوت وعميقة التشابه ومختلفة المصادر.

الدولة والخيط غير المتجانس

- ◀ (داعش) تنظيم أفقي على عكس "القاعدة"
- ◀ مصدر انسجام (داعش) في انعدام الانسجام
- ◀ مرن في تركيبته يقطع مناطق ويخضع قبائل وعشائر
- ◀ توافق بين "سلفيته الجهادية" والقوى البعثية والعشائرية
- ◀ يجمع بين محلية مفرقة في رجعيتها وعالمية لا حدود لحدائتها

رغم سلبيتها، لكنها..

- ◀ كشفت عن "داعشية" سلبية مقيمة في وجدان خصومها
- ◀ أظهرت مدى "الفكش الداعشي" والكبت الذي يعيشه البعض
- ◀ استحضرت (داعش) في صعودها ما أهمله الكثيرون

عوامل نمو وتمدد (داعش)	عوامل نمو وتمدد (داعش)
أردنياً	تغذت (داعش) على الشقاق الاجتماعي وقصام الهوية الوطنية
لبنانياً	استغل التنظيم الصدع الشيعي - السني لنشر المزاج الـ"داعشي"
عراقياً	وظفت (داعش) التقاطعات المذهبية مع المزاج العشائري المحبط والرغبة البعثية الانتقامية لتشكيل نواته
تونسياً	خلف انهيار نظام زين العابدين بن علي ركماً اجتماعياً ونفسياً مناسباً لتمدد التنظيم
أوروبياً	خاطب التنظيم شغف الشباب الأوروبي في عيش الأكلش ووعياً سينمائياً هوليوودياً حقيقياً

وعن طريق محاولة فهم الظروف المجتمعية السائدة في كل من الأردن، لبنان، العراق، تونس، وأوروبا، بدأ الباحث تكوين وجهة نظر عن التأثير الخطابي للتنظيم على طبقات وطوائف معينة في كل من هذه الدول مما يمكنه من اكتساب شعبية لدى بعض الشباب الذي يتجه في نهاية الأمر للتجند في صفوفه.

وتضمنت الدراسة شهادات من عائلات وشباب التحقوا بداعش وانتهت إلى أن تفسير الالتحاق بداعش لا يمكن قصره على الوقائع الصلبة والمنسجمة، وأن طبيعة التنظيم الأفقية (في مقابل الطبيعة العنقودية لتنظيم القاعدة) تسمح له بإدماج مكونات بشرية مختلفة تمامًا في نفس المكان بفاعلية نسبية.

وانتهى الباحث إلى التساؤل عن إمكانية النجاح في إبقاء دولة بشكل مستقر بينما مكوناتها على هذا القدر من التنوع والاختلاف.

أما الباحث تامر بدوي فقد سلط الضوء في ورقته على احتمالات تأثير (داعش) على المنطقة الأوراسية وخاصة القوقاز وآسيا الوسطى، وما هي المناطق التي قد تصبح هدفاً لعمليات التنظيم وكذلك الظروف التي قد يتم فيها تنفيذ مثل هذه العمليات. كما يطرح تساؤلات حول الدور الذي يمكن أن تلعبه هذه العناصر بعد انتهاء الصراع أو انسحابها من الساحات القتالية والعودة إلى بلادها. تعتبر بلدان القوقاز وآسيا الوسطى بمواردها الغنية من أهم الدول التي يمر منها خطوط غاز ونفط إلى الصين، وروسيا، وتركيا، وأوروبا؛ ولذلك هناك مخاوف من استهداف هذه المصالح الحيوية.

التأثيرات المحتملة لتنظيم الدولة على المجال الأوراسي الأبعاد والتداعيات الإقليمية

أصبحت العناصر المسلحة القادمة من دول القوقاز وآسيا الوسطى تلعب دوراً محورياً في سوريا والعراق بصعود الدور الذي باتت تلعبه والمراكز القيادية التي أصبحت تتقلدها داخل تنظيم "الدولة الإسلامية"، ما يجعل من فرضية تمدد أو استنساخ نشاط التنظيم في تلك الدول قائماً.

الحالة الإسلامية في الفضاء ما بعد السوفيتية

- الدمج في الخطاب الأمني بين النشاط الدعوى و"الأسلمة" و"التطرف"
- الإسلاموفوبيا تدفع صنع القرار لوضع سلسلة استراتيجيات غير دقيقة

لم يستثنى التنظيم أذربيجان من خطابه وتوعده بوصله

تنظيم الدولة يتوعد بضم الشيشان إلى الخلافة

عواقب تشديد الإجراءات الأمنية

- ◀ تحولها إلى ممارسات تعسفية
- ◀ إعادة إنتاج الراديكالية
- ◀ إحداث شرخ مجتمعي
- ◀ نهضة بيئة مناسبة لتوسع نشاط التنظيم فيها

تشديد المتابعات الأمنية

- ◀ أجهزة الأمن الروسية تعتقل 7000 فرد في موسكو
- ◀ روسيا تغلق 32 موقفاً إلكترونياً روسياً بروج لتنظيم الدولة
- ◀ أذربيجان تعتقل 26 أذربياً من أنصار وأعضاء التنظيم في الداخل
- ◀ شددت قرغيزستان وأوزبكستان من قبضتها الأمنية

كيف يمكن أن يؤثر العائدون على الأمن الإقليمي؟

وخلص بدوي إلى أن صعود خطر تنظيم الدولة الإسلامية سيسهم في التضيق أكثر على الممارسة الدينية في المجال العام في أوراسيا؛ وهو ما يعني أن أدوات علاج واستئصال الإرهاب التقليدية قد تعيد إنتاجه في مجتمعات هذه الدول ما لم يتم صياغة استراتيجية شاملة تتضمن إصلاحات سياسية نحو الديمقراطية والمزيد من الحريات وإصلاحات اقتصادية وتنموية تؤدي إلى المزيد من الشفافية والعدالة الاجتماعية. على المستوى الإقليمي والدولي تحتاج دول آسيا الوسطى والقوقاز إلى المزيد من التعاون الأمني والاستخباري لمراقبة تحركات عناصر تنظيم الدولة الإسلامية على نطاق أوسع.

أما الباحث طارق عثمان فيرى أنه يمكن النظر إلى تنظيم "الدولة الإسلامية" (داعش) بوصفه كتلة من المفارقات، التي تتجلى في مستويات عدة. هذه المفارقات هي تعبير بليغ عن خيبات سياسية معقدة؛ تجلت مفارقة تنظيم "الدولة الإسلامية" (داعش) الأولى في سياق ظهوره في قلب الربيع العربي، والتي اعتبرت انطلاقته توقيفاً على شهادة وفاة أيديولوجيا القاعدة. كما يرى الباحث أن هناك مفارقات أخرى لداعش تتمثل في كنهها السياسي، وفي أثرها على سياسات الدول الخارجية والعلاقات بين-الدولية. وسأجادل عن كون هذه المفارقات يمكن النظر إليها كحالة من حالات خيبة الأمل السياسية المعقدة.

مفارقات تنظيم الدولة الإسلامية

- (داعش) الدولة ضد الدولة
- توقيت ظهور التنظيم وتزامنه مع الربيع العربي
- بزوغه مثل انتكاسة للثورة السورية
- حضوره أريك سياسات الدول الخارجية
- معادي لإيران ومصالحها في العراق، لكنه عكس ذلك في سوريا
- عزز نفوذ طهران إقليمياً وموقفها في مباحثات الملف النووي
- أجبر واشنطن على التدخل عسكرياً في المنطقة مرة أخرى

مفارقات (داعش): الآمال السياسية التي خابت

يمكن تأويل مفارقة بزوغ تنظيم "الدولة الإسلامية" هذه كخيبة أمل للربيع العربي؛ لقد كان الرهان الأساسي لهذا الربيع هو الخلاص من سلطة مستبدة، عبر وسائل مدنية وسلمية تماماً. ولكن هل أنجز بالفعل مهمته؟!

(داعش) .. دولة ضد الدولة

- يناصب الدولة القومية الحديثة العداء
- يسعى إلى إزالة الدولة القطرية واستبدالها بدولة الخلافة
- يحتكر الحق في استخدام العنف بصورة مطلقة ودموية

دول الخليج مع أم ضد.. التحالف؟ تنظيم "الدولة"؟

- يمثل تنظيم (داعش) خطراً أيديولوجياً وعسكرياً على دول الخليج
- تنظيم الدولة المعادي أيديولوجياً لإيران يخدم مصالحها في سوريا
- نظام الأسد ليس ضمن أولويات التحالف العسكري ولا أهدافه المعلنة



خيبة أمل السياسات الخليجية

- دول الخليج لم تستطع أن تطيح بالأسد
- لم تستطع أن تضعف من نفوذ طهران في المنطقة

ويعتقد عثمان أن علاقة واشنطن بأنقرة معرّضة للتوتر بسبب تباطؤ الأخيرة في الانضمام للتحالف ضد (داعش) بصورة جذرية؛ حيث إن أنقرة لا ترى في عملياته ضد (داعش) وحده دونما استراتيجية شاملة تتضمن الإطاحة بالأسد، جدوى حقيقية.

ويؤكد الباحث في ختام ورقته أن خيبة الأمل الأشد وطأة والتي عبّر عنها بزوغ (داعش)، هي خيبة الأمل في الربيع العربي، كحركة تحررية كان يُرجى منها أن تغير وجه المنطقة العربية إلى الأبد.

وحول مستقبل داعش ناقش الباحث محمد أبو رمان العوامل والمتغيرات المؤثرة في ترسيم مستقبل تنظيم "الدولة الإسلامية" ومصيره، في ظل الحرب الراهنة عليه، والتي تديرها الولايات المتحدة الأميركية عبر تحالف دولي وإقليمي.

اليوم التالي: مستقبل الحرب على تنظيم "الدولة الإسلامية"

في اليوم التالي لسقوط مدينة الموصل بيد تنظيم "الدولة الإسلامية"؛ أدركت واشنطن مدى خطورة وقوة التنظيم وسرعته على الانتشار، ما جعلها تتبنى خيار المواجهة والحشد غربياً وعربياً لتقليم أظافر التنظيم والقضاء عليه عسكرياً وتجفيف موارده.



حرب منقوصة وشكوك حول نتائجها

- القضاء على التنظيم دون إزاحة الأسد لن يحظى بتأييد السنة
- تحالف واشنطن مع الحكومة العراقية ومليشياتها لن يطمئن السنة
- المستفيد الأول من ضرب التنظيم هما النظامان العراقي والسوري
- شكوك في صلابة التحالف الدولي الإقليمي ضد تنظيم "الدولة"
- الضربات الجوية لن تقضي تماماً على التنظيم من دون قوات برية
- ترجع الرغبة الأميركية في التورط في صراعات المنطقة

شروط رئيسية لنجاح الحرب على تنظيم الدولة

- فك الاشتباك بين تنظيم الدولة والحاضنة السنية
- استقطاب المجتمع السني ضد (داعش)
- تدريب أبناء العشائر السنة في العراق والجيش الحر في سوريا

معيقات مواجهة تنظيم "الدولة الإسلامية"

- النزعة الطائفية الناجمة عن النفوذ الإقليمي الإيراني
- حالة الفوضى السياسية والأمنية والفراغ السياسي السني
- انفجار الصراعات الداخلية الطائفية (العراق، لبنان وسوريا)
- سياسات الأنظمة السلطوية وقمع الاحتجاجات السلمية
- فشل الدولة العربية في الإدماج السياسي وحماية قيم المواطنة

وانطلق أبو رمان في دراسته من فرضيتين أساسيتين؛ تتمثل الأولى في أن النجاح الفعلي، طويل المدى، للحرب الراهنة، لن يتحقق إلا بشرط رئيسي يتمثل بفك التشابك بين تنظيم "الدولة الإسلامية" والمجتمع السني، والثانية ترتبط بما تمر به المنطقة بأسرها، من مرحلة انتقالية تشهد انهياراً للدولة القطرية وحالة من الفوضى وعدم الاستقرار، مما يعطي فرصة لصعود الميليشيات العسكرية ذات الطابع الطائفي أو الديني أو العرقي.

وخلص الباحث إلى أن القضاء على تنظيم الدولة الإسلامية عسكرياً لن يخلق حالة من الاستقرار الإقليمي ولن ينقذ الدولة القطرية العربية؛ إذ تؤثر المعطيات الواقعية إلى أننا أمام مرحلة انهيار للتوازنات القديمة من دون خلق آفاق سلمية بديلة، وهي التي كان يمكن أن توفرها الثورات الديمقراطية العربية، لكن الطريق أمامها أصبحت متعرجة ومعقدة؛ ما يجعل من سيناريو الفوضى والعنف والتفتت السياسي والجغرافي على أسس بدائية هو السيناريو المتوقع في المدى المنظور، طالما أن البديل الديمقراطي الوطني التوافقي ليس ناجحاً بعد في كثير من الدول والمجتمعات العربية؛ وذلك يعني أننا ندور في حلقة مفرغة من الصراعات والأزمات الداخلية والإقليمية الطاحنة

المصدر: مركز الجزيرة للدراسات